المقرر الثالث: الحديث الثاني والعشرون
التقرُّب إلى الله تعالى

التقرُّب إلى الله تعالى

٢٢. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

رواه البخاريُّ (٦٥٠٢) كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ.

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

١. التمهيد للدرس:

نشاط (١) اقرأ وحلل وأجب

من خلال قراءتك لنص الحديث اكتب أكبر عدد من العبارات التي تصلح أن تكون عُنوانًا للحديث، وسجله فيما يلي:

عناوين مقترحة للحديث

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب، يُتوَقَّعُ منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا - بعد عون الله تعالى - على أن:

- تُترجم لراوي الحديث.
- تُوضح لغويات الحديث.
- تشرح المعنى الإجمالي للحديث.
- تُبين ما يُرشد إليه الحديث.
- تُحدِّد درجات التقرب إلى الله تعالى.
- تُبين فضل الإتيان بالفرائض والنوافل.
- تُعدد معالم الولاية الحقة لله تعالى.
- تُعدد الفوائد التي يحصلها المسلم بولاية الله له.
- تحرص على الإتيان بما يقربك من الله وولايته.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب، تَضمَّن الحديثُ الشريف الذي ستدرسه - بعون الله تعالى - عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما هو مُبَيَّن في الشكل التالي:

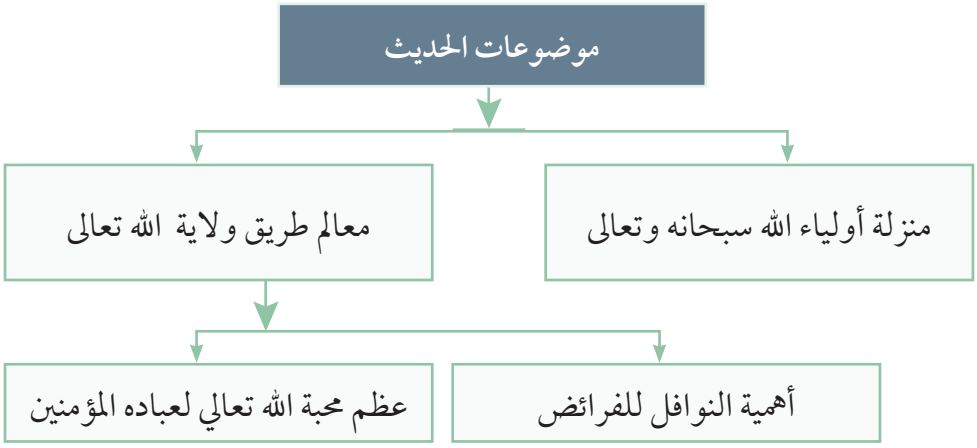

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يُرشدك إلى العناصر الرئيسة المُكوِّنة لتعلم درس اليوم:

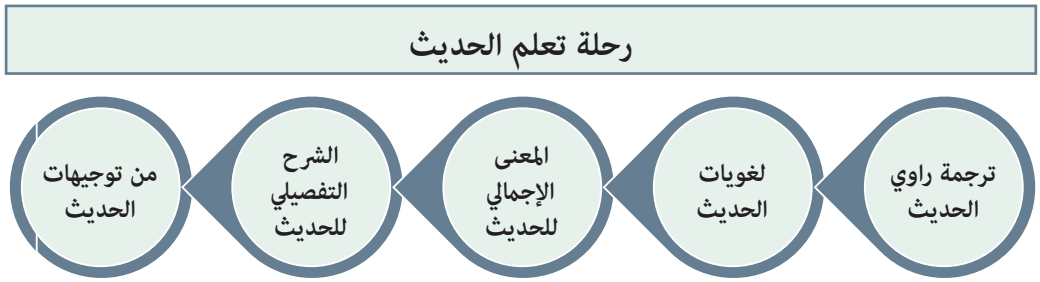

٤. ترجمة راوي الحديث:

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، اختُلِفَ في اسمه كثيرًا، وهو مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ، وشهِدَها مع رسول الله ﷺ، ثم لَزِمه وواظَب عليه؛ رغبةً في العلم، راضيًا بشِبَع بطنِه، فكانت يدُه مع يد رسول الله ﷺ، وكان يدورُ معه حيث دار، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، وله خمسةُ آلافِ حديث وثلاثُمائةٍ وأربعةٌ وسبعونَ حديثًا، اتَّفقا منها على ثَلاثمائة، وانفرد البخاريُّ بثلاثةٍ وسبعين»[٤٢٤].

تولَّى إمرةَ البحرين زمان عمر -رضي الله عنه-، ثم اعتزل الإمارة، وعاش في المدينة إلى أن مات فيها سنةَ (٥٨هـ)[٤٢٥].

(٤٢٤) «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» لابن علان (١/ ٧٢).

(٤٢٥) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

نشاط (٢) ابحث وأجب

أبو هريرة -رضي الله عنه- من قبيلة دوس، وقد أسلم على يد الصحابي الجليل الطُّفيل بن عمرو الدوسي -رضي الله عنه-، والذي كانت له قصة شهيرة في هداية قومه دوس، راجع مصادر التعلم المتاحة لديك، وأعد بأسلوبك كتابة قصة إسلام قبيلة دوس على يد الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، وفيهم صاحبنا أبو هريرة رضي الله عنهم جميعًا.

قصة إسلام قبيلة دوس:

٥. لغويات الحديث:

عبارة الحديث	اللغويات
عَادَى	خاصَمه، وصار له عَدُوًّا.
وَلِيًّا	الوليُّ: هو مَن يتولَّى الله أمرَه، ولا يَكِلُه إلى نفسه لحظةً؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وهو المتولِّي عبادةَ الله وطاعتَه على التوالي، بلا تخلُّلِ عصيان
آذَنْتُه	أي: أَعلَمْتُه؛ قال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]؛ أي: فاعلموا ذلك.
النَّوَافِل	هي ما عدا الفرائضَ التي افترضها الله سبحانه على عباده من جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وحجٍّ وصدقة وأذكار، وكلِّ ما ندب الله سبحانه إليه، وَرغَّب فيه من غير حَتْمٍ وافتراض.
اسْتَعَاذَنِي	استعاذ به: لجَأَ إليه، وهو عِيَاذُهُ؛ أي: مَلْجَؤُهُ.

٦. المعنى الإجماليُّ للحديث:

يروي أبو هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عن رَسُول اللهَّ ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَّ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْب»: يُخبِر النبيُّ ﷺ في الحديث القدسيِّ أن الله تعالى قال: مَنْ عادى وليًّا من أولياء الله الصالحين الطائعين، فإن الله يُعلِمُه أنه يُعاديه ويُحاربُه؛ نصرةً لأوليائه. «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»؛ أي: أَحَبُّ ما يتقرَّب به العبدُ إلى ربِّه، وينال ثوابه ومرضاته: الفرائضُ؛ فهي أفضل الأعمال، وأحبُّها إلى الله. «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»؛ أي: وما يزال العبدُ يُداوِم على طاعة الله، ويتقرَّب إليه بنوافل العبادات والطاعات، من قيام وصيام، وذِكْرٍ وصَدَقات، وأداء السُّنن، ونحوِ ذلك، حتى ينال محبَّة الله تعالى. «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»؛ أي: إذا أحبَّ الله عبدَه، حَفِظه في سمعه، وبصره، ويده، ورجله، فلا تشتغل هذه الجوارح إلا بالطاعات، ولا تتحرَّك إلا فيما يُرضي ربَّ العباد. «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»؛ أي: إن دعاني هذا المحبوب المقرَّب، وسألني شيئًا من أمور الدنيا والآخرة، أجبتُه، وإن لجأ إليَّ ولاذ بي واستعاذني من شرٍّ يخافُه، أَعَذْتُه وأَجَرْتُه. «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أي: إن الله تعالى كتب الموت على جميع الخلق، والموت فيه شدَّةٌ وألم؛ ما يجعله مكروهًا، والله تعالى يكره أن يسوء عبدَه ومحبوبَه، فصار الموت مرادًا لله تعالى من وجه ما سبق به قضاؤه، ومكروهًا له من وجه مساءة عبده المقرَّب، وهذا حقيقةُ التردُّد، وهو أن يكون الشيء الواحد مرادًا من وجه، مكروهًا من وجه.

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

٧. الشرح المفصَّل للحديث:

كلُّ مخلوقٍ ضعيفٌ مفتقرٌ إلى خالقه، فلا يوجد إنسان يستقِلُّ بنفسه، ولا يحتاج إلى غيره، والخالقُ سبحانه غنيٌّ عن خلقه، يفتقرون إليه ولا يَفتقِر إليهم؛ لذا كانت ولايته سبحانه وتعالى شرفًا وقوَّة وعزَّة ومَنَعة، وأعظمَ نعمةٍ يُرزَقُها العبد، فمن كان الله وَليَّه، سَعِد بولايته في الدنيا والآخرة، وجنى ثمارها، ورأى آثارها في نفسه وأهله وماله وولده، وأغنَتْه عن كلِّ ولاية سِوَاها؛ قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[النساء: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤].

وفي الحديث يخبر النبيُّ ﷺ أن الله قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»؛ أي: من آذى وليًّا من أولياء الله الصالحين، الذين حقَّقوا إيمانهم بالطاعات، وفِعل الصالحات؛ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، أو عاداه وخاصمه، فإن الله يقف له بالمرصاد، ويُعاديه ويُحاربه؛ قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ومعلومٌ أن من عاداه الله أهلكه؛ فعن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّه أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام حين كلَّمه: «اعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا، أَوْ أَخَافَهُ، فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ وَبَادَأَنِي، وَعَرَضَ بِنَفْسِهِ، وَدَعَانِي إِلَيْهَا، فَأَنَا أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِي، أَيَظُنُّ الَّذِي يُحَارِبُنِي أَنْ يَقُومَ لِي؟! أَوَيَظُنُّ الَّذِي يُغَازِينِي أَنْ يُعْجِزَنِي؟! أَوَيَظُنُّ الَّذِي يُبَارِزُنِي أَنْ يَسْبِقَنِي أَوْ يَفُوتَنِي؟! وَكَيْفَ وَأَنَا الثَّائِرُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لَا أَكِلُ نُصْرَتَهُمْ إِلَى غَيْرِي؟!»[٤٢٦]، فالعبد الصالح في كَنَفِ الله تعالى ورعايته، يَحفَظه، ولا يَكِله إلى نفسه طرفة عَين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦]، و«المراد بوليِّ الله: العالمُ بالله المواظِبُ على طاعته، المخلِص في عبادته»[٤٢٧]، «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»؛ أي: أَحَبُّ ما يتقرَّب به العبدُ إلى ربِّه، وينال ثوابه ومرضاته: الفرائضُ؛ فهي أفضل الأعمال، وأحبُّها إلى الله - عزَّ وجلَّ - قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى، والوَرَع عمَّا حرَّم الله تعالى، وصدق النيَّة فيما عند الله - عزَّ وجلَّ »[٤٢٨].

---

(٤٢٦) «الزهد» لأحمد بن حنبل (ص: ٥٤).

(٤٢٧) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر (١١/ ٣٤٢).

(٤٢٨) «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» لمحمد بن عليٍّ الحارثيِّ (٢/ ٢٦٧).

نشاط (٣) ابحث وحلل وأجب

- «ولاية الله تعالى لعباده منزلة عظيمة جدًّا، وفضلها كبير، ولا شك أن كُلًّا منا يود لو كان داخلًا تحت هذه الولاية الربانية».
- من خلال مراجعتك للقرآن الكريم سواء نسخة إلكترونية أو نسخة ورقية أو من حفظك، نود منك أن تبحث عن الألفاظ المفتاحية ذات العلاقة بموضوع الولاية مثل: «ولي، أو أولياء.. إلخ» ثم تقوم بما يلي:

أ. اسرد جميع الآيات ذات العلاقة بموضوع ولاية الله تعالى لعباده.
ب. بيِّنْ من خلال الآيات صفات أولياء الله.
ت. بين من خلال الآيات ما أعدَّه الله لأوليائه في الدنيا والآخرة.
ث. حدِّد لك أعمالًا تنوي القيام بها لتكون على طريق ولاية الله تعالى لعباده.

استعن بالجدول التالي مُكتفيًا بخمسة مواضع في القرآن الكريم

الآية	صفات أولياء الله	ما أعده الله لأوليائه في الدنيا والآخرة	الأعمال التي تنوي القيام بها

والتقرُّب إلى الله تعالى على درجتين؛ الأولى: أداء الفرائض، والثانية: أداء النوافل، وأحبُّها إلى الله تعالى أداء الفرائض، وتشمل: أداء الواجبات من الصلاة والصيام والزكاة والحجِّ وبرِّ الوالدين، وغيرها، وتركَ المحرَّمات من السرقة والزنا وشهادة الزور وعقوق الوالدين، وغيرها، فالفرائضُ مُقدَّمة على النوافل، والسببُ في ذلك: «أن الأمر بها جازمٌ، وهي تتضمَّن أمرين: الثوابَ على فعلها، والعقابَ على تركها، بخلاف النوافل؛ فإن الأمر بها غيرُ جازم، ويُثاب على فعلها، ولا يُعاقب على تركها، فالفرائضُ أكملُ، فكانت إلى الله - عزَّ وجلَّ - أحبَّ، وأشدَّ تقريبًا»[٤٢٩]. قوله: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»؛ أي: وما يزال العبدُ يُداوِم على طاعة الله، ويتقرَّب إليه بنوافل العبادات والطاعات، من صلاة الليل والصَّدَقات والذِّكر

(٤٢٩) «التعيين في شرح الأربعين» للطوفيِّ (ص: ٣١٩).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

وقراءة القرآن، والإصلاح بين الناس، وأداء السُّنن، ونحوِها بعد أداء الفرائض، حتى ينال محبَّة الله - عزَّ وجلَّ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرضِ»(٤٣٠).

فلا معنى للنوافل دون الفرائض؛ قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا، فَإِنَّ للهَ حَقًّا فِي اللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّ للهَ حَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ....»(٤٣١). فالفرائضُ أساس وأصول، والنوافل فروع، والولاية إنما تتحقَّق بالنوافل مع الفرائض، لا مع إخلال بها.

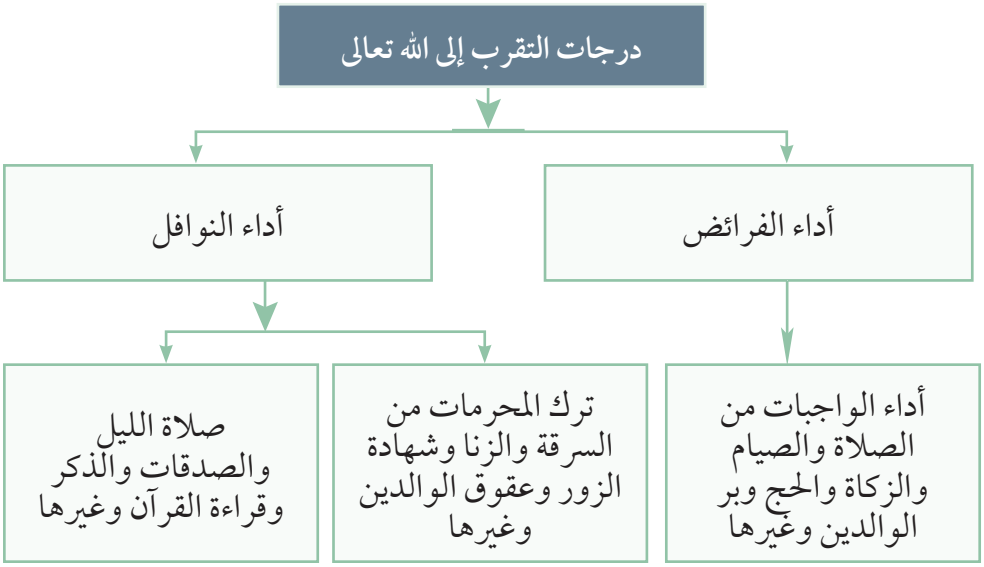

(٤٣٠) رواه البخاريُّ (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٤٣١) «الزهد» لهناد بن السري (١/ ٢٨٤).

نشاط (٤) فكر وتأمل وناقش

«هنالك العديد من الناس ممن يعتقد الناس فيهم الولاية، وأنهم أصحاب منزلة وكرامة عند الله تعالى، على الرغم من أن ما يذكر من أحوالهم لا يخلو من مخالفات ومنكرات»، في ضوء فهمك للحديث، ناقش هؤلاء القوم، وبيِّن خطأ ما ذهبوا إليه.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

قوله: «فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»؛ أي: إذا أحبَّ الله عبدَه، حَفِظه في سمعه، وبصره، ويده، ورجله، ونفسه كلِّها؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ.....»[٤٣٢]، «ومعنى ذلك أنه لا يَسمَع ما لم يَأذَن الشرع له بسَماعه، ولا يُبصر ما لم يَأذَن الشرعُ له في إبصاره، ولا يَمُدُّ يده إلى شيء ما لم يَأذَن الشرع له في مدِّها إليه، ولا يسعى برجله إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه»[٤٣٣]، فلا تشتغل هذه الجوارح إلا بالطاعات، ولا تتحرَّك إلا فيما يُرضي ربَّ العباد. قوله: «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»؛ أي: إن طلب مني شيئًا من أمور الدنيا والآخرة، أجبتُه، وإن لجأ إليَّ واستعاذ بي من شرٍّ يخافُه، أَعَذْتُه وأَجَرْتُه، «يعني أن هذا المحبوب المقرَّب، له عند الله منزلة خاصَّة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئًا، أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء، أعاذه منه، وإن دعاه، أجابه، فيَصير مُجابَ الدعوة؛ لكرامته على الله - عزَّ وجلَّ»[٤٣٤]، ويؤيِّده حديث أَنَس -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»[٤٣٥]، وكان سعدُ بنُ أبي وقَّاص -رضي الله عنه- مُجابَ الدعوة، دعا على رجل من أهل الكوفة اتَّهَمه بالباطل، فاستجاب الله دعاءه، قال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمرَهُ،

---

(٤٣٢) رواه وأحمد (٢٦٦٩)، والترمذيُّ (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصحَّحه عبد الحقِّ في «الأحكام الوسطى» (٤/ ٢٨٥)، والألبانيُّ في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/ ١٣١٧).

(٤٣٣) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص: ١٢٩).

(٤٣٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٤٨).

(٤٣٥) رواه البخاريُّ (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ - أحد رواة الحديث -: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ»(٤٣٦).

نشاط (٤) فكر وتأمل وناقش

«إن أعظم من تحققت فيه ولاية الله تعالى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم».

اشرح هذه العبارة في ضوء فهمك للحديث مع التأكيد على ما يلي:

- ذكر طرف من حاله في أداء الفرائض والنوافل.
- ذكر موقف واحد على الأقل من سيرته صلى الله عليه وسلم يدل على ولاية الله له وحفظه إياه.

قوله: «وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»؛ أي: أن الله تعالى كتب الموت على جميع الخلق؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ولا يخفى على أحد أن ما في الموت من شدَّة وألم يُحدِث كراهيةً في نفس العبد منه، فيدفع

(٤٣٦) رواه البخاريُّ (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

الله تعالى عن المؤمن هذه الكراهية ببشائرَ يُحدِثها، ولطائفَ وكراماتٍ يُظهرها؛ حتى يحبَّ لقاء ربِّه؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٣٢]، وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ؛ وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»(٤٣٧)، فإذا مات المؤمنُ، حَصَل له النعيم الأبديُّ الذي لا يَنقطِع؛ «فإن العبد الذي هذا حالُه صار محبوبًا للحقِّ محبًّا له، يتقرَّب إليه أولًا بالفرائض، وهو يحبُّها، ثم اجتهد في النوافل التي يحبُّها ويحبُّ فاعلها، فأتى بكلِّ ما يَقدِر عليه من محبوب الحقِّ، فأحبَّه الحقُّ لفعل محبوبه من الجانبين؛ بقصد اتِّفاق الإرادة، بحيث يحبُّ ما يحبُّه محبوبه، ويكره ما يَكرَهه محبوبه، والربُّ يكره أن يسوء عبدَه ومحبوبَه، فلَزِم من هذا أن يَكرَه الموت ليزداد من محابِّ محبوبه، واللهُ سبحانه وتعالى قد قضى بالموت، فكلُّ ما قضى به فهو يريده ولا بدَّ منه، فالربُّ مُريدٌ لِموته؛ لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كارهٌ لِمُساءة عبده، وهي المُساءة التي تَحصُل له بالموت، فصار الموت مرادًا للحقِّ من وجه، مكروهًا له من وجه، وهذا حقيقةُ التردُّد، وهو أن يكون الشيء الواحد مرادًا من وجه، مكروهًا من وجه، وإن كان لا بدَّ من ترجُّح أحد الجانبين كما ترجَّح إرادة الموت؛ لكن مع وجود كراهة مُساءة عبده، وليس إرادتُه لموت المؤمن الذي يحبُّه ويَكرَه مُساءته كإرادته لموت الكافر الذي يُبغضه ويريد مُساءته»(٤٣٨).

(٤٣٧) رواه البخاريُّ (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

(٤٣٨) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٨/ ١٣٠).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

نشاط (٤) فكر وسجل

محبة الله تعالى هي الغاية الكبرى التي يسعى إليها كل مسلم، وقد بيَّن الله تعالى طريقًا من طرق محبته سبحانه وتعالى، لكن الذي قد يَرِد على ذهنك الأسئلة التالية:

- لماذا أسعى لاكتساب محبة الله تعالى؟
- ما الدواعي التي تجعلني أبذل وقتًا وجهدًا ومالًا لأنال هذه المحبة؟
- هل أنا فعلًا في حاجة إلى نيل تلك المحبة؟

سجل خواطرك حول إجابات هذه التساؤلات:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

٨. من توجيهات الحديث:

- هذا الحديث قد اشتمل على فوائدَ كثيرةِ النَّفع، جليلةِ القَدْرِ لِمَن فَهِمها حقَّ فَهْمِها، وتدبَّرها كما ينبغي[٤٣٩]، وقِيلَ: هو أشرف حديث رُوِي في صفة الأولياء[٤٤٠].
- المراد بوليِّ الله: العالمُ بالله، المواظِبُ على طاعته، المخلِص في عبادته[٤٤١].
- في هذا الحديث من الفقه: أن الله تعالى قدَّم الإعذار إلى كلِّ من عادى وليًّا بأنه محاربُه[٤٤٢].
- الحديث أصلٌ في السلوك إلى الجليل جلَّ جلاله، والوصولِ إلى معرفته ومحبَّته وطريقه[٤٤٣].
- في الحديث بيان أن من كان الله وَليَّه، سَعِد بولايته في الدنيا والآخرة، وجنى ثمارها، ورأى

(٤٣٩) «قطر الولي على حديث الولي» للشوكانِّي (ص: ١).
(٤٤٠) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٨/ ١٢٩).
(٤٤١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر (١١/ ٣٤٢).
(٤٤٢) «الإفصاح عن معاني الصحاح» لابن هُبيرة (٧/ ٣٠٣).
(٤٤٣) «المعين على تفهم الأربعين» لابن الملقِّن (ص: ٤٢٠).

آثارها في نفسه وأهله وماله وولده، وأَغنَته عن كلِّ ولاية سِوَاها.

- قال تعالى: إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ [الأعراف: ١٩٦]؛ فالعبد الصالح في كَنَف الله تعالى ورعايته، يَحفَظه، ولا يَكِله إلى نفسه طرفة عَين.
- الفرائضُ أساسٌ وأصول، والنوافل فروعٌ، والولاية إنما تتحقَّق بالنوافل مع الفرائض، لا مع إخلال بها.
- في الحديث بيان أنه إذا أحبَّ الله عبدَه، حَفِظه في سمعه، وبصره، ويده، ورجله، ونفسِه كلِّها[٤٤٤].
- في الحديث إشارة إلى أنه لا تشتغل جوارح العبد المؤمن المحبوب المقرَّب إلا بالطاعات، ولا تتحرَّك إلا فيما يُرضي ربَّ العباد.
- في الحديث بيان أن المحبوب المقرَّب، له عند الله منزلة خاصَّة تقتضي أنه إذا سأل الله شيئًا، أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء، أعاذه منه، وإن دعاه، أجابه، فيَصِير مُجابَ الدعوة؛ لكرامته على الله عزَّ وجلَّ[٤٤٥].
- إن ما في الموت من شدَّة وألم يُحدِث كراهيةً في نفس العبد منه، فيدفع الله تعالى عن المؤمن هذه الكراهية ببشائرَ يُحدِثها، ولطائفَ وكراماتٍ يُظهِرها؛ حتى يحبَّ لقاء ربِّه؛ قال تعالى: ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ [النحل: ٣٢].
- أصل الولاية القُرب، وأصل العَداوة البُعد، فأولياء اللهّ هم الّذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه، وأعداؤه الّذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه[٤٤٦].
- من أحبَّ اللهّ، لم يكن عنده شيء آثَر من هواه، ومن أحبَّ الدّنيا، لم يكن عنده آثَرُ من هوى نفسه[٤٤٧].
- من ادّعى ولاية اللهّ، ومحبّته بغير طريق طاعته الّتي شرعها على لسان رسوله، تبيَّن أنّه كاذب في دعواه، كما كان المشركون يتقرَّبون إلى اللهّ تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه، كما حكى اللهّ عنهم أنّهم قالوا: مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴿٣﴾ [الزمر: ٣]، وكما حكى عن اليهود والنّصارى أنّهم قالوا: نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴿١٨﴾ [المائدة: ١٨]، مع إصرارهم على تكذيب رُسله، وارتكاب نواهيه، وترك فرائضه[٤٤٨].

---

(٤٤٤) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد (ص: ١٢٩).

(٤٤٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٤٨).

(٤٤٦) السابق (٢/ ٣٣٥).

(٤٤٧) السابق (٢/ ٣٤١).

(٤٤٨) السابق (٢/ ٣٣٦).

الله في عون العبد ما كان في عون أخيه

- المحبّة منتهى القُربة والاجتهاد، ولن يسأم المحبُّون من طول اجتهادهم للهّ عزّ وجلّ، يحبُّونه ويحبّون ذكره، ويحبِّبونه إلى خلقه، يمشون بين عباده بالنّصائح، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء اللهّ وأحبَّاؤه، وأهل صفوته، أولئك الّذين لا راحة لهم دون لقائه(٤٤٩).
- المحبُّ لا يجد مع حبِّ اللهّ عزّ وجلّ للدّنيا لذَّةً، ولا يَغفُل عن ذكر اللهّ طرفة عين(٤٥٠).
- ما يكاد يملُّ القُربة إلى اللهّ تعالى محبٌّ للهّ عزّ وجلّ، وما يكاد يسأم من ذلك(٤٥١).
- المحبُّ للهّ طائر القلب، كثير الذّكر، متسبِّب إلى رضوانه بكلِّ سبيل يقدر عليها من الوسائل والنّوافل دَوْبًا دوبًا، وشَوْقًا شوقا(٤٥٢).
- إن من عرف الله أحبَّه ولا بدَّ، ومن أحبَّه انقشعت عنه سحائبُ الظُّلمات، وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعَمُر قلبُه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب؛ فإنه لا حزن مع الله أبدًا(٤٥٣).
- قال تعالى حكايةً عن نبيِّه ﷺ أنه قال لصاحبه أبي بكر ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]، فدلَّ أنه لا حُزْنَ مع الله، وأن من كان الله معه، فما له وللحزن؟! وإنما الحزن كلُّ الحُزن لمن فاته الله، فمن حصَلَ اللهُ له، فعلى أيِّ شَيءٍ يَحزَنُ؟! ومن فاته اللهُ، فبأيِّ شَيءٍ يَفرَحُ؟!(٤٥٤).
- جميع المعاصي محاربة للهّ عزّ وجلَّ؛ فإنّ من عصى اللهّ فقد حاربه؛ لكن كلَّما كان الذّنب أقبحَ، كان أشدَّ محاربةً للهّ؛ ولهذا سمَّى اللهّ تعالى أَكَلَة الرّبا وقُطّاع الطّريق محاربين للهّ تعالى ورسوله؛ لعِظَم ظُلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداة أوليائه، فإنّه تعالى يتولَّى نُصرة أوليائه، ويحبُّهم ويؤيّدهم، فمن عاداهم، فقد عادى اللهّ وحاربه(٤٥٥).

---

(٤٤٩) السابق (٢/ ٣٤١).

(٤٥٠) نفس المصدر.

(٤٥١) نفس المصدر.

(٤٥٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٤٥٣) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم (ص: ٢٨٠).

(٤٥٤) نفس المصدر.

(٤٥٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٣٥).

من رقيق الشعر

مَعَ اللهِ فِي نَبْذِ مَا قَدْ نَهَى ... مَعَ اللهِ بِالسَّمْعِ فِيمَا أَمَرْ
مَعَ اللهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي ... مَعَ اللهِ فِي الرَّهْطِ وَالمُؤتَمَرْ
مَعَ اللهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التُّقَى ... مَعَ اللهِ فِي كُرْهِ مَنْ قَدْ فَجَرْ
مَعَ اللهِ فِي مُدْلَهِمِّ الدُّجَى ... مَعَ اللهِ عِنْدَ انبِلَاجِ السَّحَرْ

*****

تَعصِي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ ... هَذا مُحَالٌ في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقًا لَأَطَعتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ
في كُلِّ يَومٍ يَبْتَديكَ بِنِعمَةٍ ... مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضيعُ

*****

وَيَا فَوْزَ مَن أَدَّى مناسِكَ دينِه ... وعاشَ سليمَ القلبِ وهْو طَهُورُ
وتَابَعَ دِينَ الحقِّ فِقْهًا وحِكْمَةً ... ولَبَّى نِداءَ اللهِ وهْوَ شَكُورُ
فَهَذا الذي في الخُلْدِ يَنْعَمُ بَالُه ... وتَحْظى به بينَ الأرائكِ حُورُ

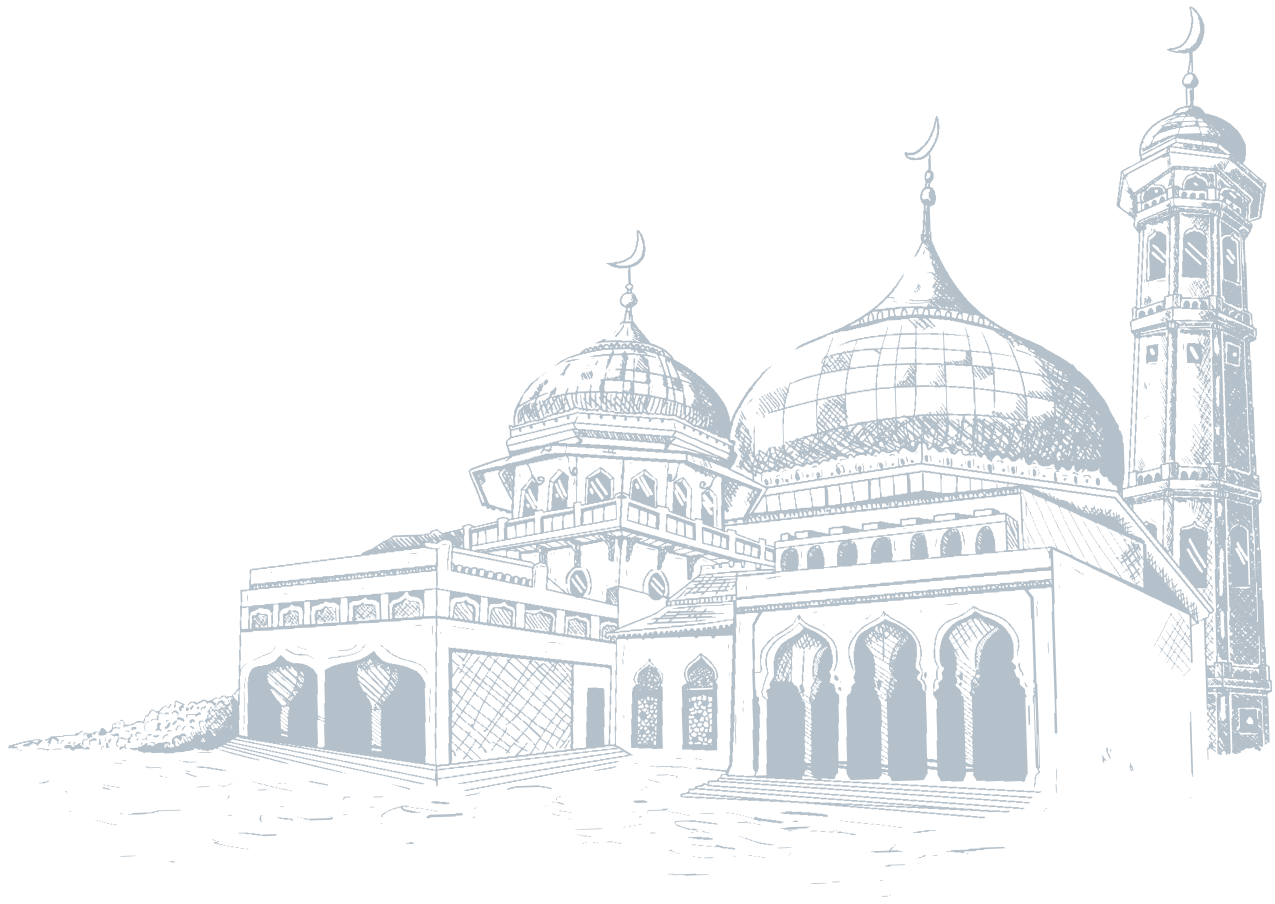

ثالثًا: التقويم

أكمل مكان النقط فيما يلي:

أ. درجات التقرب إلى الله تعالى تتضمن شيئين هما: أداء.....، وأداء .....

ب. من أبرز الفوائد التي يحصلها المسلم بولاية الله له .....

ت. تحقق الولاية بـ.....

ث. قال ﷺ: « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ .....

ج. يُستنبط من الحديث أن من ادّعى ولاية اللهّ، ومحبّته بغير طريق طاعته فهو .....

ح. معنى « آذنته بالحرب «.....

٢. ضع خطًّا تحت الإجابة الصحيحة، فيما يلي:

أ. عادى تعني خاصمه وصار له عدوًا. (نعم – لا)

ب. آذنته من الإذن بمعنى استأذنته. (نعم – لا)

ت. الاستعاذة هي اللجوء إلى الله تعالى وطلب عونه. (نعم – لا)

ث. المواظبة على الفرائض كافية في تحصيل ولاية الله تعالى. (نعم – لا)

٣. أجب عما يلي:

أ. علل مع ذكر الدليل: تقديم الفرائض على النوافل.

.....

.....

.....

.....

.....

ب. وضح المراد بقوله «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به..» إلخ الحديث.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ت. بين حقيقة الولاية التي توجب محبة الله تعالى وحفظه ورعايته.

ث. اشرح الحديث بأسلوبك شرحًا إجماليًّا.